المحاضرة الأولى:

مدخل إلى النقد العربي الحديث 1

تمهيد:

المتتبع للفظة النقد يألفها موجودة منذ القدم، عبرت بها الأمم عندما شرعت في التقابل بين أديب وآخر، وتفاضل بين قصيدة وأخرى، مستعملة في ذلك الذوق والعقل، ودقة الإدراك بالرغم من أنّ هذه النظرات لم تخرج عن كونها نظرات عفوية وسطحية، وقد شهدت الأمم الأوروبية لكلمة النقد، كما نجد الأمة العربية تعرف حضورا لكلمة النقد الذي لازم ذلك الأدب الخالد منذ القديم. فما المقصود من كلمة النقد؟ وماذا نعني بالنقد الأدبي، والنقد الأدبي الحديث؟ وكيف كانت بدايات النقد العربي؟ وما هي أهم العوامل التي ساهمت في نهضة النقد العربي الحديث؟

1-مفهوم النقد الأدبي

نلقى لفظة النقد الأدبي مكون لغوي من كلمتين أدبيّ منسوب للأدب، وخير تعريف للأدب أنّه التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة.

أمّا النقد فهي لفظة وردت في المعاجم اللغوية العربية كمعجم المحيط ولسان العرب لابن منظور لتحيل إلى أنّ النقد، والتنقاد، والانتقاد تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

ونقدت الدراهم وانتقدتها أخرجت منها الزيف، ويعني هذا المفهوم اللغوي للفظة النقد أنّها تشير إلى تمييز الجيد من الرديء من الدراهم والدنانير.

يقصد به أيضا تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن والقبيح، وهذا يتفق مع اشتقاق الكلمة. هذا المعنى الخاص بالنقد والأدب وإذا جئنا لمصطلح النقد الأدبي فيدل على: " تقدير القطعة الفنية، ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن سواء أكانت القطعة أدبا أو تصويرا، أو موسيقى.

وفي تعريف آخر للنقد الأدبي: "هو الطريقة التي يتم التعامل من خلالها مع الأعمال الأدبية وتذوقها وتقييمها وتوضيح معانيها؛ وذلك لإظهار مظاهر الجمال في النص بشكل عام وتقييمها بشكل موضوعي".

ويعرف محمد مندور النقد الأدبي على أنّه:" فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة."

2-موضوع النقد الأدبي

يعد موضوع النقد الأدبي هو الأدب؛ أي الكلام المنثور والكلام المنظوم الذي يصور العقل والشعور، ويقصد إليه النقد شارحا، محللا، ومعللا، وحاكما، يعين بذلك القراء على الفهم والتقدير، ويشير إلى أمثل الطرق في التفكير، والتصوير، والتعبير.

3-وظيفة النقد الأدبي

تكمن وظيفة النقد الأدبي في الكشف عن جوانب النضج الفني في إنتاج الأدبي وتمييزها عما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ثم يأتي الحكم عليها.

4-مفهوم النقد الأدبي الحديث

ارتبطت الحركة النقدية والأدبية الحديثة عربيا في نهضتها بالحملة الفرنسية إثر قدوم نابيون بالمطبعة، وهنالك أيضا من يربط الحركة النقدية -نهضتها- بالرؤية التجديدية التي سعت إلى الانفتاح على الثقافة الغربية والتلاقح بينهما من أجل تطعيم النقد والأدب العربيين مع بعض، والنهوض به من كبوته وضعفه وتطعيمه بخصائص ورؤى فنية جديدة، ويتبين من هذا أنّ النقد العربي الحديث ارتبط برؤيتين.

5-عوامل نهضة النقد العربي الحديث

عرف النقد العربي القديم عبر عصوره الجاهلي، وصدر الإسلام، والأُموي، والعباسي محطات من التطور للحظة سقوط الدولة العباسية على يد المغول (التتار)، وبعد هذه الفترة وقع الأدب والنقد الأدبي العربيين في كبوة ودبّ الضعف مما تسبب في ركودهما، لتبرز جملة من العوامل ساهمت بدورها في بلورة النقد العربي الحديث وإعطائه حُلّة جديدة ويصطلح عليه بالنقد العربي الحديث.

تتجسد عوامل نهضة النقد العربي الحديث فيما يلي:

أ–التعليم (المدارس)

يعد التعليم (المدارس) من أولى العوامل التي لعبت دورا مهما في نهضة النقد العربي الحديث، فنألف في مصر وقبل عهد محمد علي باشا عرفت مصر الأزهر فقط، حيث كان ينشر أنوار العلم المستمدة من الدين على العالم، ويعود الكفاح الشعبي ضد المستبدين، كما برزت الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم، والقراءة والحساب، وأيضا الحلّق.

فالأزهر كان قبل حكم علي باشا له مساهمة كبيرة في الحفاظ على العلوم الإسلامية واللغة العربية، من الضياع والاندثار، وظل يقاوم مئات السنين التيارات التي كانت تهب من الشرق ومن الغرب محاولة طمس الدين ولغة القرآن الكريم، فلقد اعترض الأزهر العديد من المحاولات التي كانت تهدف وتسعى إلى تنحية مكانته ودوره الفعال في التصدي لهذه التيارات.

وفي مطلع حكم محمد علي باشا عرفت مصر إنشاء< المدارس الخصوصية والتحضيرية، والابتدائية، وتم إحضار الأساتذة من الخارج لتدريس في هذه المدارس، ونلقى في دول الشام ولبنان كان لهم حق السبق في إعطاء أهمية للتعليم وإنشاء< المدارس قبل مصر، إلا أنّ العناية التي شهدتها المدارس في مصر من قبل محمد علي باشا أوصلتها لدرجة من التقدم لم يشهدها التعليم في بلاد الشام ولبنان وفي الدول المتقدمة.

وتم إنشاء الجامعات في مصر منها: الإسكندرية، عين شمس، أسيوط، قناة السويس.

يتبين من خلال ما تم عرضه سابقا أنّ عامل التعليم (المدارس) تأثيره بارزا على النقد العربي الحديث بشكل خاص وذلك بمساهمة النهضة التعليمية في الخروج بالنقد العربي من عهود الظلمات الأمية، إلى عهود القراءة والمعرفة، كما ساهمت في انتقال النقد العربي إلى طور جديد والتقارب الثقافي بين دول العالم العربي والغربي.

ب- البعثات العلمية

تمثل البعثات العلمية مبادرة من المبادرات المهمة التي سعت الدولة المصرية من خلالها للحاق بركب الصناعة الحديثة في عهد محمد علي باشا، لتبني نهضتها على أسس علمية، فوجدت ذلك في نهاية الربع الأوّل من القرن التاسع عشر ميلاد لا يتم ولا يحدث إلاّ بوسيلتين هما: 1- استخدام أساتذة من أوروبا لتعليم الطلاب المدارس العالية والتحضيرية.

2-ارسال المتفوقين من الطلاب للخارج للتخصص في فروع العلم المختلفة (الهندسة، الطب، الزراعة، الصيدلة، القانون، السياسة، الكيمياء..)، وأيضا بعثات علمية في تخصص الطباعة.

كان من بواعث هذه البعثات العلمية إنشاء مدرسة الألسن بقيادة أحد المبتعثين رفاعة الطهطاوي والتي خصصت للترجمة للعديد من اللغات الأجنبية.

أثرت البعثات العلمية في نهضة النقد العربي الحديث من خلال التأليف الكتب، وفتحت نافذة عن عهد الموازنات بين الشرق والغرب من حيث الحياة والحضارة، ونلاحظ أنّ عامل البعثات العلمية يلعب دورا مهما في قيام عامل حركة الترجمة التي ساهمت في ببلورة النقد العربي الحديث ونهضته.

ج- الطباعة

تمثل الطباعة عاملا في نهضة النقد العربي الحديث نلمح من خلال إحضار نابليون المطبعة إلى مصر وشرائها بعد مغادرة الفرنسيين أرض مصر في عهد علي باشا، وكانت أول مطبعة (البولاق) التي أنشئت عام 1882م لتعد مظهرا من مظاهر النهضة الثقافية.

يبرز أثر الطباعة على نهضة النقد العربي الحديث من خلال إحياء التراث العربي الأدبي والإسلامي، ونشر الصحف والمجلات ونشرها من أجل نشر الوعي والتقارب الفكري بين أبناء الوطن العربي والأمة الإسلامية.

د–الترجمة

بدأت الترجمة مع حضور الأساتذة الأجانب للمدارس الخصوصية، حينما قاموا بتدريس الطلاب المصريين وهم يجهلون اللغات الأجنبية، فاقتضت الضرورة استقدام مترجمين من السوريين والمغاربة لتعليم وترجمة مختلف العلوم.

ارتبطت الترجمة في بدايتها ضمن الحقل العلمي في حين النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتجهت الترجمة لحقل الأدبي من خلال ترجمة العديد من الأعمال الأدبية الغربية آن ذاك، وفي القرن العشرين يشهد ازدهارا على مستوى الترجمة وارتباطها بجانب الأدب وإصدار العديد من المؤلفات الأدبية (الروائية والمسرحية).

أثرت الترجمة بشكل كبير على مستوى النقد العربي الحديث من حيث ما تم تأليفه من أعمال أدبية، وأيضا بالتعريف بالمذاهب الأدبية كالرومانسية، والواقعية، البرناسية، والرمزية، وأيضا بروز قالب جديد يتجاوز القالب العمودي الشعري.

كما نألف عوامل أخرى ساهمت في نهضة النقد العربي الحديث مثل الصحافة، الاستشراق، دار الكتب، والمجمعات اللغوية.

ختاما نخلص مما سبق ذكره أنّ النقد العربي الحديث ساهمت في نهضته العديد من العوامل التي لعبت دورا مهما في بلورة رؤيته النقدية اتجاه دراسته للأعمال الأدبية.

الكتب المعتمدة في المحاضرة

–محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة

–إبراهيم عوض، مناهج النقد العربي الحديث

–حسن جاد حسن، عل هامش النقد الأدبي الحديث